المرأة والحياة

الإعداد والإخراج: الفنان محمد الشنطي

المرأة والحياة تسلط الضوء على تجربة نسوية ابداعية فريدة من نوعها

رشا سيف الدين السرميطي: حياتي المهنية معقدة تشعبت فيها بطاقتي بين الاعلام والادب
أشعر بشرف وكبرياء الانوثة الفلسطينية فالمرأة الفلسطينية نموذج للنضال السياسي والعام

■■ نابلس - رام الله - تقرير وحوار محمد الشنطي - كثيرون هم من استطاعوا ان يخلدوا بصماتهم التوثيقية في صفحات التاريخ الفلسطيني الشرف وقلائل هم من ضلوا الطريق وعادوا خائبين الى مربع الصفر، فالنموذج الاول بالطبع ينطبق على واقع المشهد النسوي المليء بالحراكات الانتاجية في كافة قطاعات الحياة الفكرية والثقافية والسياسية والادبية وغيرها، المرأة الفلسطينية هي عنوان اصيل للنموذج الانساني النضالي الى جانب الرجل الذي واكبت مسيرته ملامح الكفاح والصمود والتحدي، اذ لم يعد دور المرأة مقتصرا فقط على حماية افراد اسرتها وتأمين الجو العائلي الناجح وانما فاق دورها ليشمل الحفاظ على تماسك مختلف فئات المجتمع باسره،

ومن لم يكن لها حظ في التعليم في السابق هي ايضا كانت لها مساهمات نوعية في تنوير المجتمع وتماسكه وتعاضده والمرأة الان فاقت كل التوقعات في تجاربها المعرفية والخبراتية. فاننا نشاهدها متمكنة في مختلف مراكز صنع القرار السياسي والمجتمعي على المستوى القومي، كما نراها منارة فاعلة في فضاءات العلم والادب والفن والثقافة والاقتصاد وادوات المعاصرة والتكنولوجيا . «المرأة والحياة» تسلط الضوء في هذه النشرة على شخصية نوعية فريدة ذات تجارب مهنية وحياة مفعمة بالنجاح ومتأثرة بجرح المعاناة وصولا الى شطوط الامان الابداعي الفكري والادب النسوي، . رشا سيف الدين السرميطي تشرح لنا بإسهاب تجربتها ومسيرتها الحياتية وتطلعاتها المستقبلية وموقفها من العديد من القضايا مثل المرأة والمساواة والربيع العربي والهوية وفضاء المهنة الشخصية.

رشا سيف الدين السرميطي في سطور :

سألوني من أكون؟ والحرف ناطق في عالم السكون. لستُ سوى إنسانة، بالحبّ والعمل والأمل، مؤمنة بسعادتي. مسيرة ثلاثين عاماً لن أعدُها سوى ماضٍ يئسّ من آلامي وآمالي فأخذ خيباته ثمّ رحل، مهزوماً أمام عزّة روحي الفلسطينيّة: فراشة مقدسيّة أمضيتُ عمري أتنقل بين أزهار الأيام اليانعة والليالي الدّابلة، التي أعدمت العديد من أفكاري، أتنشق عبير الحياة بذهول، ممّا دعاني لأبدل الكثير من الخطط «الرشائيّة» التي لم أنجح بتنفيذها، في ظل واقع مغموس بالصّراعات الوطنيّة. ومرّت ساعات، ولم تزل تعد الساعات المتبقّيّة سريعة تسابق صهوة أحلامي الصافيّة دون الفوز عليها. تاهت ذاتي ما بين ذكريات مزدحمة أبت إلا أن تنبض من نبع سطور قلمي، وتنمو زيتونا أخضر، شامخ على أصل حكايتنا، يشهد نزاهة الغاية وعدّة البقاء. لقد قاومت السّنين، وبيدي مفتاح ورثته عن أجداد الوطن، وحجر وخَريطة لا يعترف بها العالم علنا.

جزء من القضيّة :

قدّر لي أن أكون جزءا من القضيّة. تسعة وعشرون عاما وأنا أعارك شيئاً يسمونه في بلدي « الهويّة » وأنا امرأة كنعانيّة، وبطاقتي أبداً ما كانت لونيّة، فاسألوا التاريخ عن رشا المقدسيّة؟ حتماً سيجيب الحياة كما هي منذ آلاف السنين. لا تعريف ثابتا يحكي قصة واحدة، فكم من الأحياء ماتوا منذ سنين، لكنّ أجسادهم تنمو وتكبر، وتجاعيد الوقت تنخر في صورهم، وتتآكل بقيّتهم على مرآى من أعيننا، وكم من ميّت فارقنا وسلبه الأجل من بيننا وهو فينا الحيّ الأوحد! عندما أفكر في الحديث عنّي، وعمّا عاصرته خلال السّنوات الماضية، بالكاد يخرج الكلام من شفتاي المملوءة بالابتسامة التي تفوح بكبرياء الرّضا وعفّة الاستسلام لله وحده لا شريك له، رغم العَقبات أحمد الله حمداً كثيراً.

حياتي المهنية معقدة :

كم كانت حياتي المهنيّة معقّدة! وُلدت في مدينة القدس، وأقمت في مدينة نابلس، ولي بينهما حكايات طوال ترفرف منشدة تحرس مدن الورق في قلعتي الأدبيّة. لقد درست في جامعة النّجاح الوطنية، وتخرّجت من كليّة الإقتصاد عام ٢٠٠٥ ميلادية، بلا بطاقة ذاتيّة. لم أكُ حينها أعرف رشا جيداً، لكنّني تعلّمت من الإقتصاد كيف أقتصد بعمري سنوات ضيّعها غيري بلا عنوان. ومن هنا، بدأت رحلة تلك الخريجة في واقع أغرق ببضائع الفساد باختلاف مصنّفاته، تدرّبت في البنوك المصرفية، وصدمتني الفوائد الباهظة التي يهدرها الكثيرون من حسابات أعمارهم دون ايداعات أُخروية، وكم من مقترضٍ وفى قرضه يقيم للحرام غاية ومبرراً، والحلال كما الشّمس إشراقته وضّاءة، لكنّ الجيل يرفضه تماماً، وينعته بالتخلف، كمن يعدّل التاريخ ليتآقلم مع الحاضر، وينسى أنّ الماضي هو أصل يَتفرّع عنه الحاضر والمستقبل، ولا انسلاخ عن أمتنا ومجد حضارتنا.

تصميم لاغلفة الكتب

اثناء انتخابات المجلس الاداري لجمعية البراء

النشاط الادبي القصصي

التعامل مع الابداع البصري

من انتاجات الخط العربي

باقة نذرية خطت باليد

شواهد حاضرة في ذهني :

شاهدت تماثيل الموظفين المكسوّة بالغبار، حاولت تحريكها، فنأت بي بعيداً، وكانت تلك أولى الصفعات التي تلقّيتها. ربّما كانت تلك المحطّة الأولى التي غالباً عنوانها: لا خبرة! أو تأتي الخبرة بلا تدريب وفرص؟! ثمّ رأيت نفسي تتوجه إلى القطاع الخاص الذي فيه صُعقت تماماً، ومنه تعرفت على أشخاص يتاجرون بأرواح النّاس بأثمان زهيدة، تزوير وتواريخ تبدأ بعدئذ كانت منتهية، ملفات من أسفل المكاتب، وموظفون يرتشون وآخرون صامتون. بؤس أكبر مما كنت أتوقع، كنت حينها لا أملك هوية شخصية. وفي يوم سأسميه جميلاً، توجهت لأحرّر الفن من شرايبني، والتحقت بدورة أشغال يدوية، كانت فرعا من مشروع تدعمه وكالة أجنبية، وهنا بدأت كفة أفكاري الإيجابية تعادل شيئا من سلبيات الواقع الذي يحطّ على كاهل الخريج الفلسطيني، بعد إذ قضى سنوات على مقاعد الدراسة الأساسيّة والجامعية، وكان يظن بأن أسواق العمل تنتظره بشوق، فاتحة ذراعيها أتنفس من هوائها، وأضم شروقها، وأسامر أفول الشمس في سمائها. أمشي في شوارعها، وأستظل تحت قبابها، وأصلي في مساجدها، لكنّني أحتاج السلام. وحنيني لراحة البال اشتدّ عبر سنوات كنت فيها أناضل لأجل امتلاك البطاقة الزرقاء، إذ كان لديّ رقم هويّة، ولا سلطات الإحتلال سمحت لي بإصدار بطاقة شخصية، ولا السلطات الفلسطينية. سألت ذاتي: كيف هيَ رشا تعيش هذه الحالة الصعبة، في وطنها! لأكن صريحة وأقولها بملء حرّية تعبير شخصية، لم يساعدنا أحد. أنا وعشرة من أفراد أسرتي، لا للحفاظ عليها، ولا لفقدانها وجدنا من يقف بجانبنا، وقد ألهمنا الله الصبر حتى نلنا حلاوته، وأخيراً حصلت على وثيقة عبور تمكنني من التجوال في مدينتي، وزيارة كافة المدن الفلسطينية.

مواهب متعددة :

الفن في داخلي مذ كنت صغيرة، لديّ مواهب متعددة، مثل: الرّسم، الأشغال اليدوية، التصميم، التصوير، والكتابة. كما الكثيرون من الناس اكتشفت نفسي من خلال الآخرين، قبل فوات الأوان. ولم أكن أعي قبلَ تلك المهارات داخلي، لكنّ القدر، وبعض الأشخاص الرائعين من حولي ساهموا في تفجير تلك الطاقات الكامنة.

رشا السرميطي ورحلة تعدد المواهب

ثم رحلوا جميعاً، يبحثون في علوم اللغة عن الفاعل، ضميرٌ مستترٌ تقديرهُ أنتم جميعا ! أنا الصّوت والصّدى، من الجبل فوق التل إلى الوادي، بعد البحيرة تجدني، أنا المنحدر، وداخلي النّداء والمنادى، أنا السهول الشاسعة، وسلالتي لا تخشى أحداً ! أملك قلماً، أمسك ورقة، غير آبهة بالحاجز العسكريّ، أُصدر نصاً، أرفع حرفاً، أنصب قصبّة ورواية، أجزم بدايةً، وأنفي نهاية حكاية، أحذف عللاً.. كي يرفرف العِلم، فوق قباب أبجديتي المقدسة، منتصراً لا منهزماً.. أضيف ضمائر الأمل، لأعكّر جمل الألم حولكم، وأطوي استعارات النّدم، كي أبقيَ الهمم عالية، رغم أنوفكم، بلا حزن.

رفعت صوتي من فلسطين، برسالة كانت من وإلى فرسان الأدب: لم يكن صوتي وحدي لكنّه الصدى يرتد إلى مسامع نفسي يوقظ الروح والجسد من إغفاءة الأمس الرّمادي محملاً الفكر قضية وطنية راجيا من الله سقوط الغيث منهمراً أمام محكمة من القرّاء

أرفع قلمي لأبدأ الجلسةَ الديسمبرية من حلم ربما صار حقيقة أزلية أشتق العدم بلحظة إنهزامية أبكي والهزل يحاكي الجدل أمام قضية منسيةً ومن هم أطراف الأمنية؟ وشوشة لسؤال يهمس في أذني: إلى متى؟ يداعب صباحي ومسائي بتوقف

أفكر بالعمل والأمل معاً، وكذا أفكر بالكلل والملل معاً تناقضاتٌ عقلية أسأل الأشياء من حولي أن تتغيّر وأسأل نفسي تغيُراً وما الله مغيراً ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم»

فلسفة وتفكر :

أخذت بعض كتاباتي طابع الفلسفة والتفكر في الواقع والقضايا التي نعيشها داخل المجتمع الفلسطينيّ. أذكر نصاً آلامني وآلم الفلسطينيين جميعاً، كان بعنوان: يقظة من حلم الدّنيا، وكأن إهداء مني لروح شهداء الحافلة التي طوي ملف قضيتها، وبكى الشتاء على أرواحهم جميعاً، ولم أعرف شخصيّاً مَن كان المتّهم.

«من المسؤول؟ سؤال عظيم منذ وقوع الحادث يرتدّ صداه لخلايا عقلي البحثية، ويجبرني على الكتابة وتقصي الحقيقة، في قضية لا أملك فيها إلا الصّمت ملاذاً على بقاع الورق، ولا يرضيني لأرواح هؤلاء العصافير أن أسكن نفسي بلا كتابة، أحدّث فيها ذوي الشّان، من المسؤول؟ أيها الصمُ البكم: يا وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، يا مدرسة نور الهدى بكامل كادرها التعليميّ، يا أسراً أزهقت أرواح أبنائها بثمن بخس، أناديكم جميعاً وأستصرخ الضمائر في داخلكم، إن كانت حيّة، بأصوات الرّاحلين، البريئين، الطاهرين، الذين صاروا بين يدي الرّحمن في جنة لا تحوي دنس الإنسان الملطخ فيكم، من المسؤول كي نحاسبه ويدفع الثّمن؟ بأكثر من قضية تطوى ملفاتها وتدس في صندوق كتب عليه: لم يتم العثور على أيّ متهم ! من المسؤول الذي تدجج بقضاء الله وأباح القتل عمدا، متستّراً خلف جيوش الصّابرين المؤمنين بقضاء الله، الذين إن أصابتهم مصيبه قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون».

خواطر نثرية :

كتبت خواطر نثرية، كانت بمثابة الترجمان لأخيلة واقعية، نظمتها وكان لي من طرحها غايات عديدة. وكما قلت قبل في لقاء سابق عبر قناة الفلسطينية، أنا أكتب الواقع تماما، وهذه صبغة تميّزت بها نصوصي.

كتبت مجموعة قصصية بعنوان: حكايات عشاق الورد، وهي مشاركة في مسابقة مع مجلة ديوان العرب الثقافية، ستصدر نتائجها في مطلع العام ٢٠١٣، وكتبت رواية أعتزُ بها كثيراً بعنوان: حنين الأمل، لم تُنشر بعد، لكنها شاركت في مسابقة غسان كنفاني للرواية عن دورة العام ٢٠١٢ ولم تفز بالمركز الأول، لكنني كنت سعيدة بشرف المشاركة بها خصيصاً ولازلت أبتسم كلما قرأت الأمل بحبر الحنين.

الانتاجات الأدبية والثقافية بشكل عام :

بدأت أنشر كتاباتي في عام ٢٠٠٨، وكانت مجلة ديوان العرب أهم الزوايا التي يستطيب بها حبر قلمي، ويزهر منتشياً بروعة المكان، وغزارة الأقلام الحقيقية هناك. كما لديّ مدونة، وأنشر أبجديّتي في العديد من الصحف والملتقيات الفكرية والثقافية، مثل: صحيفة العرب، صحيفة دنيا الرأي، صحيفة المثقف، وكالة معاً، وكالة شفا، مجلة مرايا، دار الوسط للإعلام والنّشر وغيرها. حظيت بفرص ثمينة للنّشر، ليس لأنّ وسائل الإعلام تنتظرني على الرّحب، بل لأنني اجتهدت طويلاً ليعلو صوت قلمي، ولكل مجتهد نصيب. كانت خاطرة أقلام متمردة، وهي من أول النّصوص وأحبها على قلبي، حين تمرد القلم، وحسم الواقع بقوة أنثويّة، قررت حينها أن أغيّر مجرى حياتي بالكامل، وما عدت أنتحب تعثر الزّمن بيقّين وأد أحلامي. كتبت ما يقارب إحدى وعشرين رسالة أنثوية، وأعطيت لكل رسالة عنوانا، كنت بلا كلل أبعثها عبر ساعي البريد اللاسلكي، وكما كل مرة أحدّد فيها العنوان، لم يصلني عليها الرّد إلا قليل مما لا أرغَب الإفصاح عنه حالياً، كان منها: بريد الحزن، بريد الشّعب، بريد الورد، بريد المطر، بريد الجرح، بريد الحرّية، وبريد الوفاء. كتبت لسارة ولأرواح الشهداء في غزة، وكتبت لنابلس - مدينة الحب، ويافا - مدينة الجمال، كما بعثت برسالة إلى حكام بلاد الشام - بريد الحريّة، وقلت فيها:

رسالة أدبية :

أتسألني من أكون ! أنا ؛ ومن هي الذّات في بلادي؟ نكرة، نسيَ النحويُون أن يعرّفوها. بلا تشكيلٍ تركوها، بالفن منذ الصّغر، وفجأة، انكشفت لي حقيقة التمويل الخارجي، وكيف يفتك في توازن أحلامنا، ويسلبنا الفرح عنوة عندما نستيقظ وقرار وصل برسالة المعتذر عن فعلة لا تغتفر: نأسف توقف التمويل، إلى أن تحل النّزاعات الأهلية التي نشبت بين الأحزاب لديكم. إنّها المبّاغتة ولا شيء أسوأ من غفلات القدر. أعترف بأنّ عدم التحاقي بكلية الفنون آنذاك كان خطأً قد يغيّر مجرى حياتي بالكامل لو عاد بي الزّمن لصححته، كمستحيل لن يحدث، تعايشت مع الواقع وأتممت المشوار، ولم تزل بطاقتي ممنوعة من الطباعة، وبقيت بلا هويّة.

القدس في حياتي :

في القدس، كانت لي حياة أخرى وتعقيدات أكبر، لا أعرف أحدا. لا النّاس هناك تعرفني، ولا الشوارع تعرّفت عليّ، أمولودة في القدس أنت!؟ كما المغترب إلى دولة أجنبية كانت وبكل الأسف غريبّتي للقدس، ربما كنت أحلم أن أعيش في القدس، لكنّني لم أتوقع يوماً أن الحياة في القدس هي الموت المتكرّر. ذلك ما لا يستطيع أن يعيه الكثيرون ممن لم يجرّبوا ما أقول. كم تبدّلت عندي قناعات، وتغيّرت أفكار وقيم، ذهلت مما يذيعه إعلامنا ومما تشهده الأرض ويشهده الإنسان هناك. عملت في قطاعات متقطعة ما بين نساء وشبيبة وكذا أطفال، ولم أجد ذاتي بينها إلا في سهوات قليلة كان قلمي يشعر حينها بالإرتياح المؤقت. أن تعيش لأمل، وتمتلك حلما ما، ولديك ما تعيش لأجله، فاعلم أنك حيٌ ترزق، ولديك من العمر والشباب الذي يعطره الحنين ويطغى على كافة العطور الفرنسية. حينها نما ذاك المفهوم داخلي كثيراً، شعرت بالحنين للقدس، وأنا التي أقيم فيها الآن،

لقطة لمرأة فلسطينية مهجرة في تلال الضفة الغربية تظهر مدى المعاناة الحياتية التي تعيشها مع عائلتها

بإمكانكم مشاهدة المرأة والحياة على : www.alquds.com

المرأة النموذج

يسر المرأة والحياة أن تستضيف في نشراتها الاسبوعية شخصية نسوية مؤثرة في المجتمع الفلسطيني والعربي وحتى العالمي لتسليط الاضواء على أهم التجارب الحياتية والمهنية وصولا الى عنوان المرأة النموذج في مختلف قطاعات الحياة .

المرأة حوار وتقرير

نوجه عناية القراء الاعزاء الى امكانية محاورة ممثلي المشهد النسوي في اماكن «من الصعب الوصول اليها» وذلك عبر الانترنت